

فذلوا الرهن عندنا في حبالنا مصانعة يخشون منا القوارعا/ ^ج
وذاك بأنا حين نلقى عدونا نصول بضرب يترك العز خاشعا ^{ط/٤١٦}

فبلغ قوله قريظة والنضير^(١) فغضبوا. وقال كعب بن أسد: نحن كما قال: إن لم نُغَرَّ^(٢) فحالف الأوس على الخزرج. فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من/ عندهم من الرهن من أولاد قريظة والنضير، فأطلقوا نفرأ، منهم: سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم. واجتمعت الأوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج، فاقتلوا قتلاً شديداً، وسمي ذلك: الفجار الثاني لقتل الغلمان من اليهود.

وقد قيل في قتل الغلمان غير هذا، وهو: إن عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال لقومه بني بياضة: إن أباكم أنزلكم منزلة سوء، والله لا يمس رأسي ماء حتى أنزلكم منازل قريظة والنضير، أو أقتل رهنهم! وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع، فأرسل إلى قريظة والنضير: إما أن تخلوا بيننا وبين دياركم، وإما أن نقتل الرهن. فهموا بأن يخرجوا من ديارهم، فقال لهم كعب بن أسيد القرظي: يا قوم، امنعوا دياركم وخلوه يقتل الغلمان، ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثل أحدهم؛ فأرسلوا إليهم: إنا لا ننتقل عن ديارنا، فانظروا في رهننا فعوا لنا. فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم فقتلهم، وخالفه عبد الله بن أبي بن سلول فقال: هذا بغي وإثم، [ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الأوس وقال له: كأنني بك وقد حملت قتيلاً في عباءة يحملك أربعة رجال]. فلم يقتل هو ومن أطاعه أحداً من الغلمان وأطلقوهم؛ ومنهم: سليم بن أسد جد محمد بن كعب. وحالفت حينئذ قريظة والنضير الأوس على الخزرج، وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم: يوم الفجار الثاني، وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم: فجاراً، وأما على القول الأول، فإنما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود، فليس بفجار من الخزرج، [إلا أن يسمى]: فجاراً لغدر اليهود.

يوم بُعث

ثم إن قريظة والنضير جددوا العهد مع الأوس على الموازنة والتناصر، واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم، ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا؛ فلما سمعت بذلك

(2) في المخطوطة: نعيم.

(1) في المخطوطة: النظير.

ج ١
٤١٧ ط

الخزرج جمعت وحشدت وراست حلفاءها من أشجع وجهينة، وراست الأوس/ حلفاءها من مزينة، ومكثوا أربعين يوماً يتجهزون للحرب، والتقوا ببعاث، وهي من أعمال قريظة، وعلى الأوس: حضير الكتائب بن سماك والد أسيد بن حضير^(١)، وعلى الخزرج: عمرو بن النعمان البياضي، وتخلف عبد الله بن أبي [بن] سلول فيمن تبعه عن الخزرج، وتخلف بنو حارثة بن الحارث عن الأوس.

فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً وصبروا جميعاً، ثم إن الأوس وجدت مس السلاح، فولوا منهزمين نحو العريض؛ فلما رأى حضير^(١) هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح: واعقره كعقر الجمل! والله لا أعود حتى أقتل، فإن شئتم يا معشر الأوس أن تسلموني فافعلوا. فعطفوا^(٢) عليه، وقاتل عنه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما: محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا، وأقبل سهم لا يدري من رمى به، فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله، [فبينما عبد الله بن أبي بن سلول يتردد ركباً قريباً من بُعاث يتجسس الأخبار إذ طلع عليه بعمر بن النعمان قتيلاً في عباءة يحمله أربعة رجال، كما كان قال له؛ فلما رآه قال: ذق وبال البغي!؛] وانهزمت الخزرج، ووضعت فيهم الأوس السلاح، فصاح صائخ: يا معشر الأوس، أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم، فجوارهم خير من جوار الثعالب! فانتهاوا عنهم ولم يسلبوهم. وإنما سلبهم قريظة والنضير، وحملت الأوس حضيراً مجروحاً فمات؛ وأحرقت الأوس دور الخزرج ونخيلهم، فأجار سعد بن معاذ الأشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم، جزاء بما فعلوا له في الرعل، وقد تقدم ذكره، ونجى يومئذ الزبير بن إياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي، أخذه فجز ناصيته وأطلقه، وهي اليد التي جازاه بها ثابت في الإسلام يوم بني قريظة، وسنذكره.

وكان يوم بُعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج، ثم جاء الإسلام واتفقت الكلمة، واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال. وأكثر الأنصار الأشعار في يوم بعاث، فمن ذلك قول قيس بن الخطيم^(٣) الظفري الأوسي^(٣):

أُتِعرف رسماً كالطراز المذهب لعمرة ركباً غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى تحل بنا لولا رجاء الركائب

(3-3) في المخطوطة: الأوسي الظفري.

(1) في المخطوطة: حصين.

(2) في المخطوطة: قُطِفَ.

ج
١٨/٤ ط

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
ومنها:

وكننت امرأ لا أبعث الحرب ظالماً
أذنت بدفع الحرب حتى رأيته
فلما رأيت الحرب حرباً تجردت
مضعفة يغشى الأنامل ريعها
تري قصد^(٢) المران تلقى كأنها
وسامحني ملكا هنين ومالك
رجال متى يدعوا إلى الحرب يسرعوا
إذا ما فررنا كان أسوا فرارنا
صدود الخدود والقنا متشاجر
ظأرنا كموا^(٣) بالبيض حتى لأنتموا
يجردن بيضاً كل يوم كريهة
لقيتكموا^(٤) يوم الحقائق حاسراً
ويوم بُعث أسلمتنا سيوفنا
قتلناكموا^(٥) يوم الفجار وقبله
أنت عصب للأوس^(٦) تخطر بالقنا

فأجابه عبد الله بن رواحة:

أشأقتك ليلي في الخليط المجانب نعم، فرشاش الدمع في الصدر غالب

(١) القتيير: أي رؤوس مسامير الدروع وثناها؛ لأنها تكون في الجانبين.

(٢) قصد: القطعة.

(١) في المخطوطة: أشعلتها.

(٢) في المخطوطة: قتيرها.

(٣) في المخطوطة: طأرناكم.

(٤) في المخطوطة: لقيتكم.

(٥) في المخطوطة: قتلناكم.

(٦) في المخطوطة: مثل أوس.

ج
١٨/٤ ط

ج
٤١٩ ط

بكى إثر من شطت^(١) نواه ولم يقم
لذن غدوة حتى إذا الشمس عارضت
نحامي على أحسابنا بتلادنا
وأعمى هدته للسبيل سيوفنا
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
برجل ترى الماذي فوق جلودهم
وهم حسر لا في الدروع تخالهم
معقلهم في كل يوم كريمة

لحاجة محزون شكوا الحب ناصب
أراحت له من^(٢) لبيه كل^(٢)، غارب/
لمفتقر أو سائل الحق واجب
وخصم أقمنا بعد ما نيج ثاعب
مشينا له مشي الجمال المصاعب
وبيضاً نقياً مثل لون الكواكب
أسوداً متى تنشأ الرماح تضارب
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهي طويلة. وليلى التي شبب بها ابن رواحة: هي أخت قيس بن الخطيم، وعمرة
التي شبب^(٣) بها ابن الخطيم: هي أخت عبد الله بن رواحة، وهي أم النعمان بن بشير
الأنصاري.

بعث: بضم الباء الموحدة، وبالعين المهملة، وقال صاحب كتاب العين وحده:
[وهو] بالغين المعجمة.

[ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الأحلاف وبني مالك

كانت أرض الطائف قديماً لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر. فلما كثر
بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن
قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد، وكان بنو عامر يصيِّفون بالطائف،
ويشتون بأرضهم من نجد، وكانت مساكن ثقيف حول الطائف، وقد اختلف الناس فيهم،
فمنهم من جعلهم من إياد، فقال: ثقيف اسمه قسي بن نبت بن منبه بن منصور بن
يقدم بن أفصى بن دُعمي بن إياد من معد، ومنهم من جعلهم من هوازن فقال: هو
قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان،
فأعجبهم نباتها وطيب ثمرها، فقالوا لبني عامر: إن هذه الأرض لا

(١) في المخطوطة: شطت الدور.

(٢-٢) في المخطوطة: كل ليه.

(٣) في المخطوطة: شبب.

تصلح للزرع، وإنما هي أرض ضرع، ونراكم على أن آثرتم الماشية على الغراس، ونحن أناس ليست لنا مواشٍ، فهل لكم أن تجمعوا الزرع والضرع بغير مؤونة؟ تدفعون إلينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفر فيها الأطواء ولا نكلفكم مؤونة. نحن نكفيكم المؤونة والعمل، فإذا كان وقت إدراك الثمر كان لكم النصف كاملاً، ولنا النصف بما عملنا.

فرغب بنو عامر في ذلك، وسلموا إليهم الأرض، فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الأرض وزرعوها من الأعناب والثمار، ووفوا بما شرطوا لبني عامر حيناً من الدهر، وكان بنو عامر يمنعون ثقيفاً ممن أرادهم من العرب، فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها/ وبنوا سوراً على الطائف وحصنوه، ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه إليهم عن نصف الثمار. وأراد بنو عامر أخذه منهم، فلم يقدرُوا عليه، فقاتلوه فلم يظفروا، وكانت ثقيف بطنين: الأحلاف وبني مالك، وكان للأحلاف في هذا أثرٌ عظيم، ولم يزل تعتد بذلك على بني مالك، فأقاموا كذلك.

ثم إن الأحلاف أثروا وكثرت خيلهم، فحموا لها حمىً من أرض بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن يقال له: جلدان، فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوه عليه، ولجت الحرب بينهم. وكان رأس بني نصر: عفيف بن عوف بن عباد النصري، ثم اليربوعي، ورأس الأحلاف: مسعود بن معتب؛ فلما لجت الحرب بين بني نصر والأحلاف اغتنم ذلك بنو مالك، ورئيسهم: جندب بن عوف بن الحارث بن مالك بن حَطيظ بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الأحلاف، فحالفوا بني يربوع على الأحلاف، فلما سمعت الأحلاف بذلك اجتمعوا.

وكان أول قتال كان بين الأحلاف وبين بني مالك وحلفائهم من بني نصر يوم الطائف، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانتصر الأحلاف وأخرجوهم منه إلى وادٍ من وراء الطائف يقال له: الحب^(١)، وقتل من بني مالك وبني يربوع مقتلة عظيمة في شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له: الأبان. ثم اقتتلوا بعد ذلك أياماً مسميات، منهن: يوم عمر ذي كندة، من نحو نخلة، ومنهن: يوم كروبا من نحو حلوان، وصاح عفيف بن عوف اليربوعي في ذلك اليوم صيحة يزعمون أن سبعين حبلى منهم أَلقت ما في بطنها، فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا.

(١) الحب: الطريق الواضح.

فسارت بنو مالك تبتغي الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الأحلاف، وخرجت الأحلاف إلى المدينة تبتغي الحلف من الأنصار على بني مالك، فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بني عمرو بن عوف من الأوس، وكان أشرف الأنصار في زمانه، فطلب منه الحلف، فقال له أحيحة: والله ما خرج رجل من قومه إلى قوم قط بحلف أو غيره إلا أقرّ لأولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه، فقال له مسعود: إني أخوك، وكان صديقاً له، فقال: أخوك الذي تركته وراءك فارجع إليه وصالحه ولو بجذع أنفك وأذنك، فإن أحداً لن يبر لك في قومك إذ خالفته؛ فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد، وأعطاه غلاماً كان بيني الآطام، يعني: الحصون، بالمدينة، فبنى لمسعود بن معتب أطماً، فكان أول أطم بُني بالطائف، ثم بنيت/ الآطام بعده بالطائف. ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر، وقالوا في حربهم أشعاراً كثيرة، فمن ذلك قول محبر، وهو ربيعة بن سفيان أحد بني عوف بن عقدة من الأحلاف:

ج
٤٢١ ط

وما كنت ممن أرث الشر بينهم
قريعي ثقيف أنشبا الشر بينهم
عناقاً ضرساً بين عوف ومالك
مضرمة شبا أنشبا وقودها
أصابت براء من طوائف مالك
كجمشورة جاؤوا تخطوا مآبنا
وتدعو بني عوف بن عقدة في الوغى
حبيباً وحيأ من رباب كتائباً
وقوماً بمكر وئاء^(١) شنت معتب
فأسقط أحبال النساء بصوته
ولكن مسعوداً جناها وجندبا
فلم يك عنك منزع حين أنشبا
شديداً لظاها مترك الطفل أنشبا
بأيديهما ما أورياها وأثقبا
وعوف بما جرا عليها وأجلبا
إليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو علاجاً والحليف المطيبا
وسعداً إذا الداعي إلى الموت ثوبا
بغارتها فكان يوماً عصبصبا
عفيف إذا نادى بنصر فطرزبا

عفيف هذا: بضم العين وفتح الفاء/.

ج
٤٢٢ ط

تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الأول من كتاب الكامل في التاريخ للمؤرخ القدير العلامة ابن الأثير ووليه الجزء الثاني وأوله نسب رسول الله ﷺ أسأل الله تعالى من فضله أن يعينني على إتمامه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.